ملامح من التداخلية بين العلوم في التراث العربي الإسلامي

Features of the overlapping between sciences in the Arab-Islamic heritage

طالب الدكتوراه: عبد الناصر موساوي

كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة القيروان تونس

abdenacermoussaoui1972@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2023/02/27	تاريخ القبول: 2023/03/06	تاريخ النشر: 2023/06/01

Abstract: *This study attempted to show the relationship of language sciences with each other, and finally concluded that language sciences overlap with Sharia sciences. This is because the unity of the vision, the starting point, and the unity of the goal is what facilitated their rapprochement, whether at the level of curricula or at the level of terminology.*

key words*: overlapping, fundamentals, language, Sharia , overlap*

مُلخّص البحث

حاولت هده الدراسة بيانَ علاقةِ علوم اللغة بعضِها ببعضٍ، علاقةَ مستوياتها الأربعةِ فيما بينها: الصوتيّ بالصرفيّ البِنويّ، وبالنحويّ التركيبيّ، وبالدلاليّ؛ من جهة.

ومن جهة أخرى علاقةَ علوم اللغة بعلوم الشريعة، كعلم أصول الفقه، من قرآنٍ وسنّةٍ، وعلمِ حديثٍ، وكعلم التفسير، وعلم الكلام، وغيرها من علوم الشريعة التي لا تنفكّ معرفتها عن معرفة اللغة.

وخلصت في الأخير إلى أن علوم اللغة تتداخل هي وعلوم الشريعة؛ ذلك أن وحدة الرؤية والمنطلق ووحدة الهدف هي التي سهلت التقارب بينهما إن على مستوى المناهج أو على مستوى المصطلحات.

الكلمات المفتاحية: اللغة ؛ الشريعة ؛ الفقه ؛ النحو ؛ الأصول: التداخل.

1.مقدمة:

توجه العقل المسلم إلى النظر في النص الديني بقصد قراءته قراءة تستجيب لمتطلباته الحياتية والوجودية، وبيان مقتضياتها المعرفية في التمثل، فانبجست عن تلك القراءة علوم البيان كعلوم اللغة والفقه والحديث والتفسير، وقد احتاجت هذه العلوم بعضها إلى بعض احتياج الفروع إلى الأصول، واحتياج الأحكام إلى الأدلة والمرجعيات، واحتياج النظريات إلى التطبيق، فكان أن كَّمل بعضها بعضا، وحدث بينها تأثُّر وتأثير.

1- **إشكال المقال**: انطلق المقال من إشكال مفاده: هل استمرار العلوم اللغوية فيما بينها فترة زمنية وظهور علماء ومؤلفات ومدارس في اللغة يمنع أن يكون تداخل بينها وبين العلوم الشرعية؟

2- **أهداف البحث:** تتجلى أهمية البحث وأهدافه في أنه يبين تكامل العلوم التراثية فيما بينها كما هو الشأن في أول نشأتها، فقد تحتاج اللغة إلى الفقه، وقد تتوقف أحكام الفقه على بيان الأحكام اللغوية.

3- **منهجية البحث**: ابتدأ المقال بالكلام عن سبب نشأة العلوم وهو انتشار اللحن في تلاوة القرآن الكريم، ثم الكلام عن تداخل العلوم المتباينة كاللغة، والمنطق، والفقه، والاستدلال على ذلك بأقوال بعض علماء اللغة، كما تعرض المقال إلى أسباب التداخل بين العلوم العربية وغيرها من العلوم كتأثير علم الكلام في علم النحو، وأثر أصول الفقه في أصول النحو وعلى هذا فقد اعتمد البحث على المنهج الوصفي متبوعا بأداة التحليل.

2.علاقة اللغة بالعلوم الشرعية

تعد اللغة عند أي قوم هي العامل المشترك بين الأفراد بها يتواصلون ويفكرون، وكل ما ينتجه الفكر من علوم تعكسه اللغة، فهي ليست المشترك بين الأفراد في تعاملاتهم فحسب ولكنها المشترك بين علوم الأمة، ومن خلال نصوصها ومقدساتها ومرجعياتها تستنبط القوانين وتستنتج الأحكام، وتترجم الأفكار، فالعلم مهما كان العلم هو ابن اللغة.

ومن أكثر العلوم التصاقا وتداخلا ما نجده بين علوم العربية وعلوم الشريعة، فالشريعة المتمثلة في القرآن الكريم وقراءاته وسنة النبي ﷺ القولية منها خاصة، تلك هي النصوص التي انبرت اللغة لحمايتها من التحريف والتصحيف، وذلك باستنباط قواعد النحو خدمة لكتاب الله وتفاديا للحن فيه وفي غيره مما تستعمل فيه اللغة، كما كان القرآن الكريم باعتباره قمة الإعجاز اللغوي مصدرا استقى منه علماء اللغة أساليب البلاغة من معان وبيان وبديع وحسن نظم، فكان القرآن عندهم هو المبتدأ والغاية.

فاللغة باعتبارها الوعاء الجمعي للأمة بإمكانها أن تنتظم كل علوم اللغة وتربط بينها وشائج وعلاقات بحيث تلتقي في نقاط وتفترق في نقاط أخرى، فلكل علم خصوصياته حتى وإن تشابهت أو اختلفت في مسائل تقل أو تكثر.

ولقد أدرك العلماء الأوائل أهمية اللغة في الربط بين العلوم **قال الشاطبي**:"الشريعة عربية، وإذا كانت عربية فلا يفهمها حق الفهم إلا من فهم اللغة العربية حق الفهم لأنهما سيان في النمط ما عدا وجوه الإعجاز، فإذا فرضنا مبتدئا في فهم العربية فهو مبتدئ في فهم الشريعة، أو متوسطا؛ فهو متوسط في فهم الشريعة، والمتوسط لم يبلغ درجة النهاية، فإن انتهى إلى درجة الغاية في العربية كان كذلك في الشريعة، فكان فهمه فيها حجة كما كان فهم الصحابة وغيرهم من الفصحاء الذين فهموا القرآن حجة، فمن لم يبلغ شأوهم فقد نقصه فهم الشريعة بمقدار التقصير عنهم، وكل من قصر فهمه لم يعد حجة، ولا كان قوله فيها مقبولا"[1]. ولعل من أوكد ما يمكن إيراده في هذا السياق؛أي العلاقة بين علوم العربية وعلوم الشريعة ما أورده الطبري حيث قال:"سمعت الجرمي يقول: أنا منذ ثلاثين أفتي الناس في الفقه من كتاب سيبويه، قال: فحدثت به محمد بن يزيد على وجه التعجب والإنكار فقال: أنا سمعت الجرمي يقول: هذا وأشار بيده إلى أذنيه، وذلك أن أبا عمر الجرمي كان صاحب حديث، فلما علم كتاب سيبويه تفقه في الحديث؛ إذ كان كتاب سيبويه يتعلم منه النظر والتفتيش"[2].

ويعلق الشاطبي على قول الجرمي بقوله:"وفسروا ذلك بعد الاعتراف به، بأنه كان صاحب حديث، وكتاب سيبويه يتعلم منه النظر والتفتيش، والمراد بذلك أن سيبويه وإن تكلم في النحو فقد نبه في كلامه على مقاصد العرب وأنحاء تصرفاتها في ألفاظها ومعانيها ولم يقتصر فيه على بيان أن الفاعل مرفوع والمفعول منصوب ونحو ذلك، بل هو يبين في كل باب ما يليق به، حتى أنه

احتوى على علم المعاني والبيان ووجوه تصرفات الألفاظ والمعاني، ومن هنالك كان الجرمي على ما قال، وهو كلام يروى عنه في صدر كتاب سيبويه من غير إنكار"[3].

فالعلاقة بين علوم اللغة وعلوم الشريعة علاقة متينة؛ فاللغة هي الوسيلة المثلى لقراءة النص واستنباط الأحكام، الأحكامِ التعبدية التي تقوم عليها سيرورة الإنسان وصيرورته. وقد يصل هذا التمازج والتشابه بين الاثنين أحيانا إلى حد الطرافة وذلك ما حدث بين الفراء ومحمد بن الحسن:"كان الفراء يوما عند محمد بن الحسن فتذاكروا في الفقه والنحو، ففضل الفراء النحو على الفقه وفضل محمد بن الحسن الفقه على النحو حتى قال الفراء: كل رجل أمعن النظر في العربية وأراد على غيره إلا سهل عليه، فقال محمد الحسن: يا أبا زكريا قد أمعنت النظر في العربية، وأسألك عن باب من أبواب الفقه، فقال: هات على بركة الله تعالى، فقال له: ما تقول في رجل صلى فسها في صلاته، وسجد سجدتي السهو فسها فيهما؟ فتفكر الفراء ساعة ثم قال: لا شيء عليه، فقال له محمد: لم؟ قال: لأن التصغير عندنا ليس له تصغير. وإنما سجدتا السهو تمام الصلاة وليس للإتمام تمام. فقال محمد بن الحسن: ما ظننت آدميا يلد مثلك"[4].

إن مثل هذه النظرة التي ينظر بها النحوي في مسألة فقهية لهي الخطوة الأولى على طريق استفادة الأصوليين في استنباطهم لأحكامهم وبناء قواعدهم انطلاقا من منطقية النحو.

وربما يكون هذا التقارب والتكامل بين علوم اللغة من ناحية وعلوم الشريعة فيما بينها يعود لكون العلماء الأقدمين موسوعيّين ومتعددي المشارب والاتجاهات والثقافات والأفكار،فالشخصية الواحدة قد تترك بصماتها في عدة علوم، فنجد الواحد منهم قد ألف في: اللغة،والأدب، والفقه، وعلوم القرآن، وعلوم الحديث، وربما في الرياضيات، والطب"فالإمام الطبري مثلا هو: مفسر، ومؤرخ، وفقيه، وعالم لغة وشعر ،وابن خلدون في الأساس مغامر سياسي لكنه عُرف بأنه مؤرخ، وقاضي قضاة المالكية بمصر،وكثيرون ينسبون له الإبداع في علوم الاجتماع، والاقتصاد، والتربية وغيرها، وابن سينا فيلسوف وطبيب، وابن رشد فقيه، وأصولي، وطبيب، وفيلسوف، وابن تيمية كتب في الفقه،والأصول، والسنة، والتصوف، والمنطق وهكذا"[5].

فالواحد منهم إذا انتقل في التأليف من علم إلى علم يتسرب شيء من منهجه ومصطلحاته من علم إلى علم وذلك ما يحدث تشابها وتكاملا بين علمين أو أكثر، فنجد بعض مصطلحات اللغة ومناهجها قد انتقلت إلى أصول الفقه أو أصول الحديث أو التفسير أو أن يحدث العكس، فالعلوم

يأخذ بعضها من بعض على مستوى المصطلح أو على مستوى المنهج، ويبقى لكل علم مجاله الخاص.

3.أسباب التداخل بين العلوم الشرعية و العلوم اللغوية

ومنه نرى أن أسباب هذا التداخل بين العلوم الشرعية منها خاصة واللغة هي:

أولا: اللغة التي هي الوسيلة الأولى لولوج أي علم من العلوم.

وثانيا: هي مركزية النص القرآني باعتباره المحور الذي تدور حوله كل العلوم الشرعية خدمة له واستقاءً منه.

وثالثا: موسوعية العلماء المشتغلين بهذا الدين وخدمته.

فالقرآن الكريم الذي أنزل خطابا ربانيا لجميع الناس جاء بلغة العرب ذات البيان والإعجاز فجاء بأبلغ مما يتداوله العرب بلغتهم وأكثر إعجازا. قال الله تعالى: ﴿**الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ (1) إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ**﴾[6].

فالقرآن الكريم جاء محركا للعقل العربي، مثيرًا في الذات العربية كثيرًا من الأسئلة وهز كثيرًا من المفاهيم الراسخة في ذلك العقل، فمن الناحية اللغوية والبلاغية أحسوا بالعجز على الإتيان بمثله، كما أحدث ثورة في المفاهيم العقائدية، وأتى بتشريع جديد يبطل كثيرا من تشريعاتهم القديمة أو يعدلها، ومن هنا أخذ النص القرآني مكانته المركزية فكان منطلق الحياة التعبدية والفكرية والثقافية والعلمية عند المسلمين، فكانت علومهم انطلاقا من القرآن وعودة إليه، فمنه جاء الفقه والتفسير، والبلاغة التي رأت فيه النموذج الأرقى، فكتبوا وفصلوا في ذلك، وحتى علم النحو وعلم الصرف ما كان لتكون لهما هذه المكانة لولا سعيها للحفاظ على القرآن الكريم من اللحن والتحريف، يقول الرافعي:"وجاء علم الأصول لمعرفة الأدلة العقلية والشواهد الأصلية والنظرية،واختص علم أصول الفقه بالمجمل والمحكم والمتشابه، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والنسخ وهكذا توالت العلوم ونشأ بعضها من بعض كالفقه والتاريخ أو القصص والمواقيت وعلم المعاني والبيان والبديع، وهي كلها من أصل واحد هو القرآن الكريم"[7].

ولا يخفى أن علم الأصول سواء في النحو أم في الفقه كان متأثرًا بالمنطق من حيث الاستدلال واستقراء الأدلة. إن التمحور حول النص القرآني واعتباره مركزًا تدور حوله كل العلوم جعل هذه العلوم تتداخل فيما بينها، ويعضد بعضها بعضا، مثل"المرجعية التي ساهمت في هذه

التداخلية القائمة على العلوم الإسلامية، هو النص المؤسس لهذه العلوم بحيث تمخض عن مركزية النص القرآني ومحوريته في الثقافة العربية الإسلامية هو: أن قامت شبكة متكاملة ومتداخلة من العلوم، من فقه وأصول وحديث وسنة وتفسير وقراءات وغيرها من العلوم الشرعية، أوفي العلوم اللغوية من نحو وصرف وتصريف ومعجم وفقه لغة وبلاغة ودلالة... إلى خدمة لهذا النص في جميع جهاته ومستوياته"[8].

ولم يكن هذا التداخل والتكامل المعرفي بين العلوم في التراث العربي الإسلامي من خلال بعض الملامح الخاصة بالمباحث والمضامين أو الاقتباسات وغيرها فقط، وإنما قد كان هذا الأخير سببا فعالا في انتقال المصطلحات بين هذه العلوم؛كانتقال مصطلحات علم الأصول مثل: السماع، والقياس، والاستصحاب إلى النحو العربي من خلال إسقاط صائب على مفاهيمه، كما انتقلت مصطلحات النحو إلى الصرف ومنه إلى فقه اللغة وإلى غير ذلك من العبور المصطلحي بين العلوم العربية والذي تشكل من أسباب عدة تمثلت في الآتي[9]:

1- وحدة المنطلق وهي النصوص: إذ لا مبالغة أن تنعت الحضارة العربية بحضارة النص فلقد كان منه البدء وإليه المآل، فهو الأصل وغيره الفرع في العلوم اللغوية والشرعية على السواء، بحيث تمثل النص والمنطلق الأول في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، وتمركزت مختلف الدراسات حوله.

2- وحدة الغاية: وهي اللسان الذي هو الهدف الرئيس الذي حدده الله عز وجل لنبيه إذ قال: ﴿**وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**﴾[10]، لذلك كانت الغاية من علوم القرآن أو علوم اللغة واحدة وهي تفسير ألفاظ القرآن الكريم.

3-وحدة الباحث: وهي الوحدة النفسية والشعورية لدى العلماء مما جعلهم على تعددهم وتنوع اهتماماتهم واختلاف اتجاهاتهم ومذاهبهم صفًا واحدًا.

4-وحدة النشأة والتطور: نشأة العلوم اللغوية والشرعية متزامنة متداخلة يفيد بعضها من بعض وتطورت كذلك بتبادل التأثير والتأثر عبر اللفظ والمعنى وعبر مسالك الأصالة والفرعية، واستمرت كذلك ترتقي في سلم التخصصات ثم استوت بعد علوما، كل علم وحده في عالمه من المعالم ما هو

إلا علامة على التداخل والتكامل المصطلحي، فكانت المفردات الاصطلاحية تتناظر وتتماثل وتتقارض وتتقاطع ثم تأتلف وتختلف.

5-وحدة المنهج: التقرير أن ثمة وحدة منهجية لأمر جلل، صعب ليس بالبسيط السهل ويحتاج إلى زمن لتأكيد ذلك، وإن القول بوحدة المنهج إنما نابع من القول بوحدة الأمور السابقة كوحدة المنطلق، ووحدة الغاية، ووحدة الباحث ووحدة النشأة والتطور.

إن هذه العناصر أسهمت في إحداث التداخل والتكامل بين العلوم الشرعية فيما بينها وبين علوم اللغة بصفة عامة، بل ربما تجاوز هذا التداخل وتعدى إلى علوم أخرى وافدةٍ على اللغة العربية، ولذا يتمظهر هذا التداخل بمظهرين: "أحدهما داخلي يحصل بين العلوم التراثية الأصلية بعضها من بعض، والثاني خارجي يحصل بين هذه العلوم المنقولة"[11]، فحتى العلوم الوافدة على الثقافة العربية لم تكن بمنأى عن التأثير والتأثر؛ ومرد ذلك إلى ازدهار الثقافة العربية الإسلامية خاصة في العصر العباسي، وحركة الترجمة بصفة خاصة التي عملت على استجلاب ثقافات وعلوم أخرى مع إلباسها لباسا عربيا وروحا إسلاميّة مصطلحا ومنهجا، فحين "نشِطت الحركة العلمية والفكرية وبدأ عصر الترجمة واحتاج المؤلفون والمترجمون إلى ألفاظ تدل بدقة على العلوم والفنون، وأصبح المصطلح مهما في تحصيل العلوم؛ لأنه يحدد قصد المؤلف أو المترجم، وأخذ المهتمون بالعلوم يُعْنَوْن به كثيرا"[12].

وهو ما أثرى الساحة العربية والثقافة الإسلامية بسيل رابٍ من المصطلحات العلمية والفنية، ودور دار الحكمة في بغداد التي تعد"أول مؤسسة علمية لتعريب العلوم، وانصبت الترجمة أولا على نقل أمهات الكتب العلمية إلى اللغة العربية ككتاب: إقليدس في الهندسة، وكتاب بطليموس في الفلك، ومؤلفات أرخميدس الرياضية والفيزيائية... إضافة إلى كتب الفلسفة والطبيعة اليونانية"[13].

وبذلك اجتمع كم هائل من المصطلحات المشتركة بين العلوم، على تميز كل مصطلح في حيزه العلمي وذلك لما امتازت به اللغة العربية من مرونة في التعامل مع الألفاظ وخاصة المجاز الذي بواسطته يمكن تغير معنى اللفظ من مكان آخر.

والحال هكذا فالواجب على دارسي العلوم الإسلامية التراثية مراعاة "التداخلية من خلال منهج في مدارسة التراث العربي الإسلامي أوفي البحث عن الآليات المنتجة للمضامين المحمولة في

هذا التراث حرصا على استيفاء المقتضى المنطقي الذي يوجب أن يكون المنهج مستمدًا من الموضوع ذاته لا مسلطا عليه من خارجه"[14].

وعلى الدارس للعلوم التراثية الإسلامية أن يضع في اعتباره انتقال المصطلحات والمفاهيم من علم إلى علم، وأنها من ارتحالها من علم إلى آخر تأخذ مفاهيم مغايرة لما كانت عليه في علم ما فـ "هذا التوجه في رحلة المفاهيم واكتسابها لمفاهيم جديدة غير المفاهيم التي كانت عليها في أصلها الأول ينبغي استحضاره في أية مقاربة، أو مدارسة لأي حقل معرفي في التراث العربي الإسلامي، فانتقال المفاهيم من حقولها المعرفية إلى حقول معرفية أخرى من الأساسيات والمميزات التي طبعت التراث الإسلامي، ومن هنا لا ينبغي التنكر لهذا العبور والتغاضي عنه، أو إهماله، أو إبعاده لكل توجه، أو مقاربة، أو مدارسة توجهتْ نحو البحث في التراث العربي الإسلامي"[15].

فالعلوم الإسلامية يتداخل بعضها في بعض ويخدم بعضها بعضا، ولقد عد بعضهم أن علم الكلام له الفضل على بقية العلوم الشرعية، يقول سليمان الشواشي: "فكل العلوم الدينية فروع من أصل واحد، هو علم الكلام، إذ لولا الاطمئنان إلى صحة العقيدة ويقينيتها، لما توجه العلماء إلى دراسة الشريعة؛ لأنهم كانوا يعتقدون اعتقادا جازما أن صحة الشريعة موقوفة على صحة العقيدة، ولذلك ما إن رأوا استقرار العقيدة وتحصين المتكلمين لها من جميع الأخطار، حتى توجه الفقهاء إلى استنباط الأحكام وتوجه الأصوليون إلى تنظيم قواعد الاجتهاد، وتوجه المحدثون إلى ضبط السنة وحمايتها من الوضع والتدليس، وتوجه المفسرون إلى المضي في فهم الخطاب القرآني"[16].

إن المُنقب في كتب التراث لا يجد أن علما نشأ منفردا بعيدا عن باقي العلوم اللغوية والشرعية خاصة، فكلها قد أخذ من بعضه ليؤسس لعلم جديد، وربما يمكن أن يكون مثالا على ذلك أثر علم الكلام في علم النحو إذ كانت فرقة المعتزلة هي الأقرب إلى علم الكلام. ونظرًا لاتصال بعض النحاة بهم، وتمذهبهم بمذهبهم فقد وجدنا هؤلاء النحاة يتأثرون بهم، ولعل من أوائل النحاة الذين أدخلوا الفكر الكلامي إلى النحو العربي هو الأخفش الأوسط تلميذ سيبويه الذي كان ينسب في مذهبه الكلامي إلى أبيشمر وكان قدريا مرجئا. قال أبو العباس المبرد :أخبرني المازني قال: كان الأخفش أعلم وأذقهم بالجدل،وكان غلام أبي شمر وكان على مذهبه"[17].

ولذلك كان"أول نحوي متكلم بالمعنى الحقيقي هو الأخفش، وقد ظهرت بعض الآثار الكلامية في دراساته النحوية، حيث كان أول نحوي تحدث في أصل اللغة: أإلهام هي أم اصطلاح"[18]، ومن شدة ما تأثر النحو بمذاهب واتجاهات النحاة أن كاد أحدهم لا يشبه الآخر في نحوه "فقد نقل ابن الأنباري أن بعض أهل الأدب قال: كنا نحضر عند ثلاثة مشايخ من النحويين فمنهم من لا نفهم من كلامه شيئا، ومنهم من نفهم بعض كلامه، ومنهم من نفهم جميع كلامه فأما الذي لا نفهم من كلامه شيئا فأبو الحسن الرماني، وأما من نفهم بعض كلامه دون البعض فهو أبو علي الفارسي، وأما الذي كنا نفهم جميع كلامه فأبو سعيد السيرافي"[19]، وربما منشأ ذلك هو أن علم النحو وبعضا من العلوم الأخرى خضعت للتأثر بالمنطق والفلسفة ولذا"اعتبر مؤرخو الفكر الإسلامي أن القرن الرابع هو قرن المنطق، فقد طغى هذا المنهج على كل نشاطات الفكر الإسلامي، وامتزج علم الكلام بالمنطق والفلسفة، وقد ظهر هذا بوضوح في نحو هذه المرحلة. كما أن أبا علي الفارسي وهو من هو في التعمق وملازمة القياس تجده يصف نحو الرماني وصفا ينم عن ابتعاد هذا الأخير عن منهج النحاة الأوائل وانغماسه في منهج المتكلمين والمناطقة"[20].

ولذا نجد أبا علي الفارسي يقول:"إن كان النحو ما يقوله الرماني فليس معنا منه شيء، وإن كان النحو ما نقوله نحن فليس معه منه شيء[21]وربما أبرز ما ظهر في هذا المجال هو ما كان على مستوى المصطلح حيث تم ترحيل كثير من المصطلحات من علم إلى علم آخر لتكسب معنى آخر إضافيا في موطنها الجديد. ومن ذلك نذكر مثلا: الحذف:

وهو"الاعتداد بالمعنى العدمي أو ما يسمونه zero morphĕme، فالبنيات السطحية في النصوص غير مكتملة غالبا بعكس ما قد يبدو لمستعمل اللغة العادي"[22]، بمعنى أن النص أو الخطاب غير مكتمل؛ أي: أنه يحتوي على فراغات وفجوات ينبغي على المتلقي صاحب اللغة أن يملأها بتقدير المحذوف من الألفاظ ليتبلور المعنى في ذهن المتلقي كما أراده صاحب النص أو المخاطب. فالحذف في النحو هو حذف كلمة أو تركيب بحيث لا يحدث خللا في المعنى المراد. أما الحذف في الصرف فهو حذف بعض حروف الكلمة لمقتضيات لسانية.

كما نجد مصطلح الصرف الذي هو ناحية على علم قائم بذاته يعني بنية الكلمة العربية وما يلحقها من زيادة أو صحة أو إعلال وغير ذلك.

نجد هذا المصطلح أيضا قد انتقل إلى النحو بمعنى آخر فنجد الاسم المتمكن غير الأمكن، أو ما يطلق عليه الممنوع من الصرف أو الممنوع من التنوين.

كما يبدو لدينا واضحًا التكامل المصطلحي بين أصول الفقه وأصول النحو، ويظهر ذلك في ألفاظ عديدة أخذها علماء أصول النحو من أصول الفقه وألبسوها لباس علم أصول النحو لتأخذ مفهومها الجديد مع الإبقاء على شبه يربطها بالمعنى الأصولي من ناحية، ومن المعنى المعجمي من ناحية أخرى، فالناشئ المشترك مصطلحيا بين العلمين نجد منه: السماع، والإجماع، والقياس، والعلة ومسالكها، والاستصحاب، والاستحسان، وغير هذه المصطلحات المشتركة. بل أكثر من ذلك فإن هذا التداخل لم يكن على مستوى المصطلح فحسب بل من العلوم ما ينتقل كلية لخدمة علوم أخرى كالنحو والمنطق"فمنزلة النحو كمنزلة المنطق علمان مسدِّدان، إلا أن الأول يسدد اللسان، والثاني يسدد العقل والفكر، حتى لا يقع غلط فيهما"[23]، فهذان العلمان لا يمكن للباحث في أي من العلوم الاستغناء عنهما، فهما حاضران في البحث العلمي الأول لتقويم اللسان وجعله على المسلك الصحيح، والثاني من أجل تقويم العقل والتفكير وصحة الاحتجاج والمنهج.

وإذا نظرنا مثلا لعلاقة أصول الفقه بالفقه، نجد أن هذه العلاقة كما يراها محمد الطاهر الميساوي علاقة تلازمية تداخلية يمكن تشبيهها بعلاقة النظرية بالتطبيق، فعلم أصول الفقه يمارس وضع النظريات العامة للاستنباط، ويعمل على عصمة المستدل من الزلل في الاستدلال وبالتالي فإن هذا العلم يحظى بأهمية بالغة بحيث لا مكان للقول والاجتهاد في الشريعة بدون دليل، فلا يقول من شاء ما شاء وإنما ترد الفروع إلى أصولها، وترد الأصول إلى مصادرها الأصلية المعلومة... وعلم الفقه من جهة أخرى يسعى إلى توجيه تلك النظريات، وتسديد تلك الأنساق، وذلك بتنزيل وتطبيق هذه الأنساق على أرض الواقع وهذا من أحد تجليات التلاحم والتداخل الذي كان حاضرا وقائما بين العلوم كافة وعلم الفقه مع علم الأصول خاصة[24].

وعن الارتباط بين علم الأصول ومباحث الدلالات فهو يعد من أهم "المباحث التي جسدت مستويات التواصل والتداخل بين علم الأصول والمنطق وتحقيق هذا التواصل عمل علماء الأصول على الاستفادة من مباحث المناطقة واستثمروا دراستهم ومباحثهم لغاية استغلال الطاقة الدلالية واللغوية للنص الشرعي لتكون هذه الدلالة المحمولة في النص طريقا معينا في استنباط الأحكام الشرعية"[25].

وهنا تتجلى أهمية الدلالة المعتمدة في علم المنطق فالدلالة هي: مسلك معتبر للعبور من المنطوق إلى المفهوم، ومن المنصوص إلى المستنبط، ومن الصريح إلى المضمر، ومن المعنى الأصلي إلى المعنى التبعي، ومن المعنى المطابقي إلى المعنى اللزومي"[26]. ولذا اعتبر الإمام الغزالي أن المنطق من أدوات المجتهد الممارس لعلم أصول الفقه "فالمقدمة المنطقية التي جاءت في كتاب المستصفى هي ليست من جملة علم أصول الفقه ولا هي من مقدماته بل هي مقدمة لكل العلوم"[27].

4.الخاتمة

ومن خلال هذا العرض الموجز يظهر لنا أن علوم اللغة العربية والدراسات الإسلامية على اختلاف توجهاتها وأهدافها كان منطلقها الأول هو القرآن الكريم ومادتها ومرجعها هو القرآن الكريم، فنلاحظ أن هذه العلوم على اختلافها إنما نشأت ورتبت ونظمت أحكامها ومناهجها من خدمة الدين الإسلامي المتمثل في النص الشرعي وفي مقدمته القرآن الكريم، ثم نصوص السنة النبوية الشريفة، فكان العلماء على اختلاف تفكيرهم يحملون رؤية واحدة وهي خدمة هذا الدين كل في مجاله، وبما أتيح له من علم.

ولعل وحدة الرؤية، ووحدة الهدف هي التي جعلت كل هذه الرؤى تنصب في هدف واحد، وتصبو إلى غاية واحدة، مما سهل التقارب بينها، سواء على مستوى المناهج، أم على مستوى المصطلحات فاستعان بعضها ببعض، وأخذ بعضها من بعض؛ حتى إنك لتجد في كل علم آثارًا من علم آخر فيأخذ منه ويجاوره.

5.النتائج والتوصيات

1- النتائج:

من الاستنتاجات التي توّصل إليها المقال:

-علوم اللغة العربية والدراسات الإسلامية على اختلاف توجهاتها وأهدافها كان منطلقها الأول هو القرآن الكريم.

- فشو اللحن كان سببًا في نشأة العلوم اللغوية والتفكير النحوي عمومًا، حيث إنَّ العرب خافوا على لغتهم من الضياع، ومن مخالطة الأعاجم فوضعوا النحو.

- أن علوم الشريعة وعلوم اللغة العربية متداخلة مؤثرة ومتأثرة، فاللغة العربية لغة القرآن الكريم هي الأداة التي بواسطتها نعرف المقاصد الشرعية التعبدية. والنحو فيحد ذاته اتخذ من الكريم والحديث الشريف مادة للتقعيد وإرساء صحة اللغة.

- أسباب التداخل بين العلوم اللغوية والدراسات الإسلامية ترجع إلى مركزية النص القرآني وموسوعية العلماء واللغة.

- التداخل والتكامل يحدث بين العلوم المتوافقة والمتباينة.

- التداخل والتكامل المعرفي بين العلوم في التراث العربي الإسلامي كان من خلال المضامين أو الاقتباسات وأيضا من خلال العبور المصطلحي بين هذه العلوم؛ كمثل انتقال مصطلحات علم الأصول مثل: السماع، والقياس، والاستصحاب إلى النحو العربي.

2–التوصيات:

- أن يكتب في مثل هذه الموضوعات لمعرفة الأصيل منها والمتجدد.

المراجع:

[1]- الشاطبي، إبراهيم بن موسى، الموافقات، تح: مشهور سليمان، دار ابن عفان، السعودية، ط1، 1417ه/1997م، ج5، ص53.

[2]- الزبيدي، محمد بن الحسن، طبقات النحويين واللغويين، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، ط2، د.ت، ص75.

[3]- الشاطبي، الموافقات، ج5، ص54.

[4]- الحموي ياقوت، مهجم الأدباء (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب)، تح: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1414ه/1993م، ج1، ص17.

[5]- الرافعي، مصطفى صادق، تاريخ آداب العرب، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط2، 1393ه/1974م، ج2، ص119.

[6]- [يوسف:1-2].

[7]-الرافعي، مصطفى صادق، تاريخ آداب العرب، ج2، ص120.

[8]- بنعمر محمد، تداخل العلوم في أصول الفقه، مركز نماء للبحوث والدراسات،المغرب،ص4،-www.naza centar.com

[9]- ينظر: الدكي عبد النبي، التداخل والتكامل المصطلحي في العلوم اللغوية من أين؟ وكيف؟ مجلة دراسات مصطلحية، معهد الدراسات المصطلحية، فاس، ع1، 1422ه/2001م، ص117وما بعدها.

[10]- [النحل:44]

[11]-طه عبد الرحمن، تجديد المنهج في تقويم التراث، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط2،د.ت، ص76.

[12]-مطلوب أحمد، بحوث مصطلحية، منشورات المجمع العلمي، د.ط،1427ه، 2006م، ص09.

[13]-بنعمر محمد، الدلالة المصطلحية المتداخلة، مرجع سابق، ص11.

[14]-المرجع نفسه، ص12.

[15]-المرجع نفسه، ص15-16.

[16]-الشواشي سليمان، التكامل المعرفي في الثقافة الإسلامية، ضمن جملة مقالات بعنون فلسفة التكامل المعرفي ومنطلقاته النظرية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، هوندن، فرجينيا، الولايات المتحدة الامريكية، ط1 ،1433ه/2012م، ص216.

[17]- القفطي علي بن يوسف، إثبات الرواة على أنباه النحاة، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الكتب، د.ط،1973م، ج2، ص38.

[18]- الجباس محمد، النحو العربي بين التأثير والتأثر، ص53.

[19]- الأنباري، أبو البركات، نزهة الأنباء في طبقات الأدباء، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار نهضة مصر، القاهرة، د.ط،1968م، ص379.

[20]- الجباس محمد، النحو العربي بين التأثير والتأثر، ص55.

[21]- ابن الأنباري، نزهة الألباء في طبقات الأدباء، ص379.

[22]-دبو جراند روبرت، النص والخطاب والإجراء، تر: تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 2011م، ص30.

[23]- ابن رشد، القاضي أبو الوليد، الضروري في صناعة النحو، تح: منصور علي عبد السميع، الصحوة للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2010م، ص21.

[24]-ينظر: محمد الطاهر الميساوي: مقدمة تحقيق مقاصد الشريعة الإسلامية للطاهر بن عاشور، دار النفائس، عمان،1999م، ص31.

[25]-مجاهد عبد الكريم، الدلالة عند الأصوليين، مجلة الفكر العربي،1986م، السنة 7، ع11، ص129.

[26]- المرجع نفسه، ص129.

[27]- الطوفي، نجم الدين، شرح مختصر الروضة، تح: عبد الله تركي، مؤسسة الرسالة، ط1 ،1973م، ج1، ص100.

قائمة المصادروالمراجع:

1. ابن رشد، القاضي أبو الوليد، الضروري في صناعة النحو، تح: منصور علي عبد السميع، الصحوة للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2010م.
2. الأنباري، أبو البركات، نزهة الأنباء في طبقات الأدباء، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار نهضة، القاهرة، د.ط،1968م.
3. بنعمر محمد، تداخل العلوم في أصول الفقه، مركز نماء للبحوث والدراسات، المغرب، د.ط، د.ت.
4. الحباس محمد، النحو العربي بين التأثير والتأثر، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2014م.

5. الحموي ياقوت، مهجم الأدباء (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب)، تح: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1414ه/1993م.
6. دبو جراند روبرت، النص والخطاب والإجراء، تر: تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 2011م.
7. الدكي عبد النبي، التداخل والتكامل المصطلحي في العلوم اللغوية من أين؟ وكيف؟ مجلة دراسات مصطلحية، معهد الدراسات المصطلحية، فاس، ع1، 1422ه/2001م.
8. الرافعي، مصطفى صادق، تاريخ آداب العرب، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط2، 1393ه/1974م.
9. الزبيدي، محمد بن الحسن، طبقات النحويين واللغويين، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، ط2، د.ت.
10. الشاطبي، إبراهيم بن موسى، الموافقات، تح: مشهور سليمان، دار ابن عفان، السعودية، ط1، 1417ه/1997م.
11. الشواشي سليمان، التكامل المعرفي في الثقافة الإسلامية، ضمن جملة مقالات بعنون فلسفة التكامل المعرفي ومنطلقاته النظرية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، هوندن، فرجينيا، الولايات المتحدة الامريكية، ط1، 1433 ه/2012م.
12. طه عبد الرحمن، تجديد المنهج في تقويم التراث، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط2،د.ت.
13. الطوفي، نجم الدين، شرح مختصر الروضة، تح: عبد الله تركي، مؤسسة الرسالة، ط1 ،1973م.
14. القفطي علي بن يوسف، إثبات الرواة على أنباه النحاة، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الكتب، د.ط، 1973م.
15. مجاهد عبد الكريم، الدلالة عند الأصوليين، مجلة الفكر العربي، 1986م، السنة 7، ع11.
16. محمد الطاهر الميساوي، مقدمة تحقيق مقاصد الشريعة الإسلامية للطاهر بن عاشور، دار النفائس، عمان، 1999م.
17. مطلوب أحمد، بحوث مصطلحية، منشورات المجمع العلمي، د.ط،1427ه، 2006م.